الجديد في المحفوظات العربية

الجزء الرابع



دار المعارف بمصر

الجديد في المخطوطات العربية

الجزء الرابع

تأليف

لجنة من الأساتذة

دار المعارف بمصر

١٩٦١

مقدمة

الحفظ والاستظهار مادة لا غنى عنها للطالب فى سبيل التمكن من مفردات اللغة واقتباس أساليبها الصحيحة . على أن العناية بالذاكرة والتحصيل يجب أن تسايرها العناية بالذهن والقلب والروح حتى يؤتى التهذيب أكله .

وهذا ما حرص مؤلفو هذه الكتب على مراعاته فيما ألفوه واختاروه فلم يكن همهم فيها مقصوراً على أن يوفروا للطالب قطعاً تنمى محصوله بالألفاظ والأساليب بل حرصوا مع ذلك على أن يكون محفوظه مما ينبه فيه الاستعداد ويشحذ الذكاء ويخاطب القلب ويحبب إليه الوطن والأسرة والمجتمع ويثير فيه الاحتفال بمرائى الطبيعة وآيات الجمال فيها فدعاهم ذلك كله إلى أن يلائموا بين المعنى واللفظ والأسلوب مجاراة للنمو العقلى فى مدارك أطفال هذا العصر .

ومؤلفو هذه الكتب وهم لجنة من الشعراء ومن رجال التربية والتعليم فى البلاد العربية موقنون عن عقيدة واقتناع أن الثقافة هى العروة الوثقى التى تجمع قلوب العرب وتوحد كلمتهم وتزيدهم تعاطفاً وأخوة فوضعوا نصب أعينهم توثيق تلك الصلة وبث الروح العربية فى أطفال العرب ولفت أذهانهم وأفئدتهم إلى مجالى الجمال فى الأوطان العربية فجاءت هذه الكتب صالحة للاستعمال فى مدارس كل قطر عربى متمشية ومراحل التعليم فى البلاد العربية ومطابقة للمناهج الجديدة فى مرحلتى التعليم الابتدائى والإعدادى فى البلاد المصرية .

فالله نسأل أن يكون لهذه الكتب الفائدة التى توخيناها وهو حسبنا ونعم الوكيل

اللجنة

أرى الله *

وتنبأتْ عيناهُ فى الشَّفَقِ الأَخْـــضرِ فانْحَطَّتا على فَلَّاحِ
يحرثُ الأَرضَ هادئًا مطمئِنًّا فيشقُّ الأَتلامَ كالجرَّاحِ

* * *

قال طوبَى لهُ وطوبَى لنفسِهْ ما أَلذَّ الصَّفاءَ فى ماءِ كأْسِهْ
ما أَعزَّ الأَعشابَ حولَ سواقيـــه وأَغناهُ فى قناعةِ بؤْسِهْ
لا يَرَى غيرَ حقلِه إنْ أَطَلَّ الـــفَجْرُ أَو أَقْبلَ المَسا غير أنسِهْ
جاهلٌ يجهلُ القراءَةَ فى الأَســـفارِ لكنَّه حكيمٌ بفأْسِهْ
غَدُهُ مثلُ يومِهِ ليسَ يغشا ه شقاءٌ ويومُهُ مثلُ أَمْسِهْ

* * *

ليتَ لى قلبَهُ الْخَلِي ليتَ فى الروحِ لى تُقاهْ

---

* لإلياس أبى شبكة (المتوفى سنة ١٩٤٧) .

ليت فى مقلَتَىَّ لِى مقلتيهِ واحَسرتاهْ
فأَرَى الصُّبْحَ يَنْجَلِى عن شُعاعٍ من الحلِى
ذهبىٍّ مكلَّلِ بلُجَيْنٍ من المياهْ
وأَرى الله كلَّما أُرسلُ الطَّرْفَ فى السَّما
إنَّ فيها لِمَنْ سَمَا بالتُّقَى صورةَ الإلهْ

أَيُّها الجنديُّ *

وطنٌ فى ساعةِ الهَوْلِ أَهَابَا | والعَوالِي دُونَهُ كنَّ الْجوَابَا
وتقاضاكَ على مَذْبَحِهِ | أَنْفَسَ الذُّخْرِ فقدمتَ الشَّبَابَا
وتخِذْتَ النَّارَ والشَّوْكَ أَخًا | بعدَ إِذْ فارقتَ أَهلًا وصحابَا
وتبدَّلتَ بربْعٍ مؤْنِسٍ | مَنْزِلاً وَحْشًا وصحراءَ يَبابَا
يا لَهَا فى الأَرْضِ من تضحيةٍ | عظمَتْ فى الملإِ الأَعْلَى ثَوابَا

* * *

قمْ إِلى الحربِ وخُضْ منها العُبابا | وامْتَطِ الفولاذَ فى الرَّوْعِ رِكابَا
غُصْ بقعرِ البَحْرِ واسبقْ حُوتَهُ | واعْلُ فى الْجوِّ وسُقْ فيهِ السَّحابَا
زَلْزِلِ الأَرَضَ وروِّعْ أَهلَها | بزئيرٍ يُفْزِعُ الأُسْدَ الغِضابَا
وابعثِ النِّيرانَ سيلاً عاصفًا | يجْرُفُ السَّهْلَ ويجتثُّ الهِضابَا
واملإِ القَسْوةَ جَنْبَيْكَ وقلْ | إِنَّ عندَ اللهِ للباغِى العِقابَا

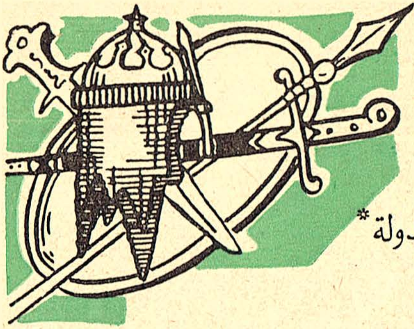
* * *

---

* لعادل الغضبان .

إنَّ صُبْحَ النَّصرِ مهما يكُ غابَا ... فغدًا تلقاهُ قد شَقَّ الْحِجابا
فانتظِمْ تاجَكَ من لألائِهِ ... واخفضِ السَّيْفَ وأَوْدِعْهُ القِرابَا
خمدَتْ نارُ الوغَى فارْجِعْ إلى ... بَيْتِكَ الْحُرِّ ولو أَمْسَى خَرابَا
واسْمعِ الأَوطانَ تشدُو طَرَبًا ... وتُغَنِّيكَ الأَناشِيدَ العِذابَا
أَيُّها الْجندِيُّ قد صُنْتَ الْحِمَى ... أَيُّها الجندِيُّ حرَّرتَ الرِّقابَا





جيش سيف الدولة*

إذا خلتْ منك حِمْصُ لا خلتْ أَبَدًا   فلا سَقاها من الوَسْمِيِّ باكِرُهُ
دخلْتَها وشعاعُ الشَّمْسِ متَّقِدٌ   ونورُ وجهك بينَ الْخَيْلِ باهِرُهُ
فى فيلقٍ من حديدٍ لو قذفتَ بهِ   صرفَ الزَّمانِ لما دارتْ دوائِرُهُ
تضيقُ عن جيشه الدنيا فلو رحبتْ   كصدره لم تَبِنْ فيها عساكرُهُ
إذا تغلغلَ فكر المرءِ فى طَرَفٍ   من مجدهِ غرقتْ فيه خواطِرُهُ
تحمى السُّيوف عَلَى أعدائِهِ معَهُ   كأَنهنَّ بنوهُ أَو عشائِرُهُ
إذا انتضاها لحربٍ لم تدعْ جَسَدًا   إلا وباطنهُ للعينِ ظاهرُهُ
وقد تيقَّنَ أَنَّ الحق فى يدهِ   وقد وثقنَ بأَنَّ الله ناصِرُهُ
كم من دمٍ رويت منه أَسِنَّتُهُ   ومهجة ولغتْ فيها بواتِرُهُ
وخائن لعبتْ سُمْرُ الرماحِ بهِ   فالعيشُ هاجِرُهُ والنَّسرُ زائِرُهُ
يا من أَلوذُ به فيما أُؤَمِّلُه   ومن أَعوذُ به ممَّا أُحاذِرُهُ
ومن توهَّمْتُ أَن البحرَ راحتُهُ   جودًا وأَن عطاياه جواهِرُهُ
لا يجبرُ الناسُ عظمًا أَنْتَ كاسِرُه   ولا يهيضون عظمًا أَنت جابِرُهُ

* لأبى الطيب المتنبى (٣٠٣ – ٣٤٥).

مصطفى كامل *

أَعْلَى مكانتكَ الإلهُ وشرَّفا | فانعَمْ بطيبِ جواره يامُصْطفى

«مصرُ» التى لم تحظَ من نُجبائِها | بـأَعزَّ منكَ ، ولم تعز بـأَحْصَفَا

«مصرُ» التى لم تبغِ إلَّا نفعَها | فى الحالتينِ مُلاينًا ومعنِّفَا

«مصرُ» التى غسلتْ يداكَ جراحَها | بصبيبِ دمعكَ جاريًا مستنزَفا

«مصرُ» التى كافحتَ لُدَّ عداتِها | متصدِّرًا لرُماتها مُسْتهدفا

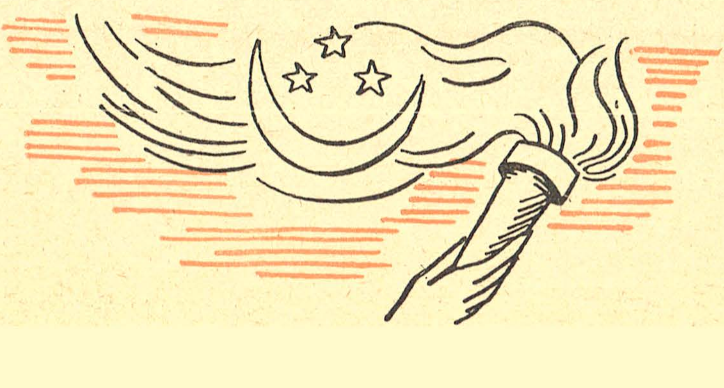
«مصرُ» التى أَحْببتَها الحُبَّ الَّذى | بلغَ الفداءَ نزاهةً وتعففا

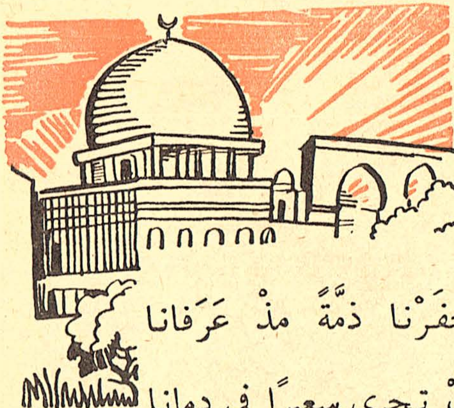
حتى مضيتَ كما ابتغيتَ مؤلِّفًا | من شَمْلِها ما لم يكنْ ليُؤَلَّفا

ما أَنتَ بالرجل الَّذى يُمْسِى وقد | مُلِئَ الوجودُ بهِ ويصبحُ قد عَفا

إنِّى أَراكَ ولا تزالُ كعهدنا | بك فى جهادِك أَو أَشدَّ وأَشْغَفا

* لخليل مطران (المتوفى سنة ١٩٤٩) .





فليسطين *

سائلِ العلياءَ عنَّا والزمانا هل خفرْنا ذمَّةً مذْ عرَفانا
المروءَاتُ التى عاشتْ بنا لم تزلْ تجرى سعيرًا فى دِمانا
يا جهادًا صفَّقَ المجدُ لهُ لبِسَ الغارُ عليهِ الأُرْجُوانا
شرُفُ باهتْ فلسطينُ بهِ وبناءٌ للمعالِى لا يُدانى
إنَّ جُرْحًا سالَ من جَبْهتِها لَثَمْتَهُ بخشوعٍ شَفَتانا
وأنينًا باحت النَّجْوى به عربيًّا رَشَفْتُه مُقْلَتانا
يا فلسطينُ التى كدْنا لِما كابدتْهُ من أَسًى ننسى أَسانا
نحنُ يا أُختُ على العهدِ الَّذى قد رضعناهُ من المَهْد كِلانا
يثربٌ والقُدْسُ منذُ احتَلما كَعْبتانَا وهوَى العُرْبِ هَوانا
قم إلى الأَبطالِ نلمسْ جرحَهُمْ لمسةً تسبحُ بالطِّيبِ يَدانا
قم نجعْ يومًا مَن العمر لهمْ هَبْهُ صَومَ الفِصْحِ ، هبْهُ رمَضانا
إنما الحقُ الَّذى ماتوا لهُ حَقُّنا ، نمشِى إليه أَيْنَ كانا

---

* لبشارة الخورى .

العَلَمْ *

يا أيُّها العَلَمُ الكريمُ تحيَّةً   حرَّى تعيذُكَ أَن تضامَ وتُرْغَما
لكَ فى الزَّمانِ مفاخرٌ تسمو بها   شرفًا وتعلو فوقَ هامات السَّما
رفرِفْ على شعبٍ عرَفتَ جهادَهُ   وعرفتَ فيهِ الظَّافرَ المتقدِّما
شعبٌ تدفَّق بالشباب ومالهُ   غير الشَّبابِ على المكاره مغنما
أرواحهُ نورُ الرَّجاءِ ، ومن رجا   أملًا رأى مَتْنَ الكواكب سلَّما
هم عدَّةُ الأيَّامِ يومَ نِزالِها   والعونُ إنْ عَبسَ الزَّمانُ وغيَّما

* * *

رفعوكَ يا عَلَمَ البلادِ وزينةَ الـ   وَطنِ الحبيبِ ، ورمزَ أبطالِ الْحِمى
رفعوكَ والآمالُ فى عزماتِهمْ   ولو استطاعوا قلَّدُوكَ الأَنجما
فاخفقْ وحولك من جنودك أُمَّةٌ   بذلتْ لنيل النَّصْر مهجتها دما
ستغالبُ الدُّنيا وأَنتَ أمامها   لتعيش فى الدُّنيا عزيزًا مُكْرَما

---

* لفايد العمروسى .

عمر المختار *

رَكزوا رُفاتَكَ فى الرِّمالِ لِواءً ... يستنهضُ الوادِى صباحَ مساءَ
يـاأَيُّها السَّيْفُ المجرَّدُ بالفَلا ... يكسو السُّيوفَ على الزَّمانِ مضاءَ
خُيِّرْتَ فاخترتَ المبيتَ على الطَّوَى ... لم تَبْنِ جاهًا أَو تلمَّ ثَراءَ
إنَّ البطولةَ أَنْ تموتَ من الظَّما ... ليس البطولةُ أَنْ تعبَّ الماءَ
بطلُ البداوةِ لم يكنْ يغزُو على ... « تَنْكٍ » ولم يكُ يركبُ الأَجواءَ
لكن أَخُو خيل حَمى صَهَواتِها ... وأَدارَ من أَعْرافِها الهَيْجَاءَ
الأُسْدُ تزأَر فى الحديدِ ولن ترَى ... فى السِّجنِ ضرغامًا بكى اسْتخذاءَ
وتخيَّرُوا الحبلَ المهينَ منيَّةً ... للَّيْثِ يلفظُ حولَهُ الْحَوْباءَ
حرمُوا المماتَ على الصَّوارمِ والقَنا ... مَنْ كان يُعْطِى الطَّعْنةَ النَّجْلاءَ

* لأحمد شوقى (المتوفى سنة ١٩٣٢) .



أَبُو الْهَوْل *

أَبا الهَوْل قلْ لِىَ ماذَا تُسِرُّ ؟ وَماذَا وَرَاءَكَ مِمَّا اسْتَتَرْ ؟
تَقُومُ هُنالك بَيْنَ الرِّمال وَلَا يَعْرِفُ النَّاسُ عَنْكَ الْخَبَرْ
فَمَنْ ذا بَناكَ ؟ وَماذا أَرادَ بِجِسْمِ الْأُسُودِ وَرَأْسِ البَشَرْ ؟
تَمُرُّ عَلَيْكَ العُصُورُ الطِّوَالُ وأَنتَ مُقِيمٌ تُباهِى العُصُرْ
تُجاوِرُ أَهْرَامَ خُوفُو هُناكَ وأَنتَ زَمِيلٌ لَها فى الصِّغَرْ
تَشَابَهتُما فِى البَقَاءِ الطَّوِيلِ وَفِى المَجْدِ فِيما مَضَى أَوْحَضَرْ
تُرَى حِينَ يَخْلُو هُناكَ المَكانُ وَيُرْخِى الظَّلامُ هُناكَ السُّتُرْ
تُحَدِّثُها فَتَرُدُّ الْحَدِيثَ وَيَجْهرُ كلٌّ بما قَدْ أَسَرّ ؟

* لسيد قطب .



النيل*

بين الشروق والغروب

طَلعَ الفجْرُ على الكونِ ولاحْ وبدَا فى النِّيلِ لألاءُ الصَّباحْ
وصَحَا الْبُلْبُلُ فى أَيْكَتِهِ وانْبَرَى يشدُو بآيات فِصاحْ
ورَنَا النِّيلُ إلى شَمْسِ الضُّحَى ناضِرَ الشَّطَّيْنِ بَسَّام الصِّفاحْ
تَمْخرُ السُّفْنُ على أَثْباجِهِ مائساتٍ فى غُدُوٍّ ورَوَاحْ
وفتاةٍ ملأَتْ جَرَّتَها فى ضِفَافَيْهِ من الماءِ القراحْ
ولأَصْواتِ الشَّواديفِ صَدًى ساحِرُ النَّغْمةِ رَنَّانُ الصُّداحْ
ينفُثُ النِّيلُ بها روحَ الغِنَى وَهْوَ يجرِى فى تعاريجِ البِطاحْ
فإذاما الشَّمْسُ غابَتْ وكسَتْ راحةُ البَيْنِ سَنَاها بوشاحْ
وتَوارَى وَجْهُها الدَّامِى أَسًى كطعينٍ قطرتْ منهُ الْجِراحْ
أَشْرَقَ البَدْرُ منيرًا ضاحِكًا وتهادَى فى مجالِيهِ الفِساحْ

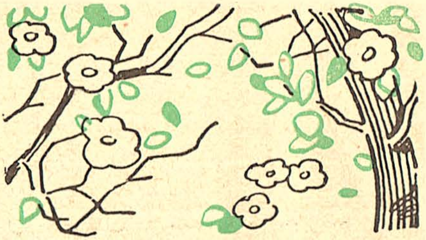
---

* لعادل الغضبان .

فكأنَّ النِّيلَ مرآةُ سنًى   كسرَتْ صفحَتَها شُهْبُ الرِّماحْ
وعلى شَطَّيْهِ سُمَّارُ الحِمَى   تتبارَى بأَفانينِ المُزاحْ
كلُّ قلبٍ خافقٌ بِشْرًا وفى   كلِّ صدرٍ فيضُ أُنْسٍ وانْشراحْ
عشتَ يا نيلُ رجاءً للحِمَى   ومناطَ العِزِّ والخيرِ الصُّراحْ
إنَّ قُطْرًا مُسعدًا تجرِى بهِ   هُوَ فى المَجْدِ حِمًى لا يُسْتباحْ







الربيع *

إلى الشَّاعرِ المكدودِ يا نَسْمةَ العَصْرِ ... إلى الشَّاعرِ الظَّمآنِ ياموجةَ النَّهْرِ

إليه وحُلاًّ عقدةً من لسانِهِ ... لينطقَ بالسِّحرِ المبين من الشِّعْرِ

فهذا الرَّبيعُ الطَّلْقُ يدعوهُ هاتِفًا ... بما فيهِ من نورٍ وما فيهِ من زهْرِ

يمدُّ على الأَشجارِ كفًّا فترتدى ... بأَنضرِ ما يهتزُّ من وَرَقٍ نَضْرِ

كساها الرَّبيعُ السَّمْحُ كلَّ مُفَوَّفٍ ... تميسُ بهِ بين البراءَةِ والطُّهْرِ

كساها وكانت عارياتٍ جسومُها ... كمَنْ عاشَ من بخل الشِّتاءِ على فَقر

وَأَبدعَ فيها للعصافيرِ مسرحًا ... تشقشقُ فيه فى الأَصيل وفى الفَجْرِ

مواكبُ وشَّاها الربيعُ بكفِّه ... وأَطلعَهَا سحرًا يجلُّ عن السِّحْرِ

فياساحرَ الأَلبابِ بوركتَ ساحرًا ... يفيءُ علينا بالحياةِ وبالبِشْرِ

تنفَّسْتَ فى جوِّ الحدائِقِ والرُّبَى ... فأَطلقتَ فيه العطرَ ناهيكَ من عِطرِ

وفتَّحتَ أَكمامَ الأَزاهرِ مبدعًا ... وأَطلعتَها فى الرَّوْضِ بسَّامةَ الثَّغْرِ

تعطِّرُ أَشتاتَ القلوبِ بطيبِها ... وتوحِى إلينا بالتأَمُّلِ والفِكْرِ

---

* لعبد العزيز عتيق .

وصف جبل *

وأَرعنَ طمَّاحِ الذُّؤَابةِ شامخٍ ... يطاولُ أَعنانَ السَّماءِ بغاربِ
يصدُّ مهبَّ الرِّيح من كلِّ جانب ... ويزحمُ ليلًا شُهْبَها بالمناكبِ
وقورٍ على ظهرِ الفلاةِ كأَنَّهُ ... طوالَ اللَّيالى ناظرٌ فى العواقبِ
أَصَخْتُ إليه وهْوَ أَخرَسُ صامتٌ ... فحدَّثنى ليلَ السُّرَى بالعجائبِ
فقالَ : أَلاكم كنتُ ملجأَ فاتِكٍ ... وموطنَ أَوَّاهٍ ومؤئلَ تائبِ
وكم مرَّ بى من مُدْلِجٍ ومؤَوِّبٍ ... وقالَ بسفحى من مطىٍّ وراكبِ
ولاطمَ من نُكبِ الرِّياح مَعاطفى ... وزاحمَ من خُضرِ البحار جوانبى
فما كان إلَّا أَن طوتهمْ يدُ الرَّدَى ... فطارتْ بهم ريحُ النَّوى والنَّوائبِ

* * *

فسلَّى بما أَبكى وسرَّ بما شجى ... وكان على ليلِ السُّرى خيرَ صاحب
وأَسْمَعنى من وعظهِ كلَّ عبرةٍ ... يترجِمُها عنهُ لسانُ التَّجاربِ
فقلتُ وقد نكَّبتُ عنه مطيَّتى ... سلامٌ فإنَّا من مقيمٍ وذاهبِ

---

* لابن خفاجة الأندلسى (٤٥٠ — ٥٢٣ هـ) .



زلزال*

مَنْ رأَى جَلمَدًا يهبُّ هبوبًا ... وحميمًا يسحُّ سحَّ الغَمامَهْ ؟

ودخاناً يلفُّ جنحًا بجنحٍ ... لا ترَى فيه مِعْصَمَيْها اليمامَهْ

وهزيماً كما عوى الذِّئبُ فى كـ ... لِّ مكان وزمْجرَ الضِّرْغامَهْ

أَتتِ الأَرضُ والسماءُ بطوفا ... نٍ يُنَسِّى طوفانَ نوحٍ وعامَهْ

فترى البحرَ جنَّ حتى أَجازَ الـ ... برَّ واحتَلَّ موجُهُ أَعْلامَهْ

مزبدًا ثائر اللَّجاجِ كجيشٍ ... قوَّضَ العاصفُ الهبوبُ خيامَهْ

فلْكُ نوحٍ تعوذ منه بنوحٍ ... لو رأَتهُ وَتستجيرُ زمامَهْ

قد تخيَّلتهم متابيلَ سحْرٍ ... من قراعِ القضاءِ صَرْعَى مدامَهْ

وتخيَّلتُ مَنْ تخلَّفَ منهمْ ... ظنَّ ليلَ القيامِ ذاك ، فنامَهْ

أَبراكينُ تلك أَم نزواتٌ ... من جراحٍ قديمة ملتامَهْ

تجدُ الأَرض راحةً حيثُ سالتْ ... راحة الجسمِ من وراءِ الْحِجامَهْ

ما لها لا تضجُّ ممَّا أَقلَّتْ ... من فسادٍ وحُمِّلتْ من ظلامَهْ

---

* لأحمد شوقى (المتوفى سنة ١٩٣٢) .

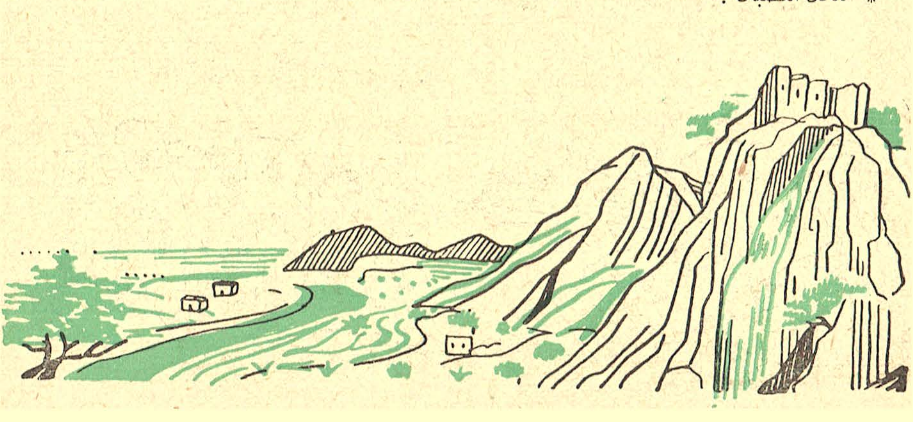


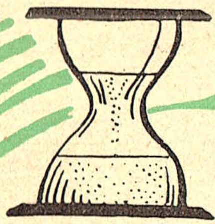
لبنان *

سُبْحَانَ مَنْ سَكَبَ الإِبْداعَ فى جَبَلٍ   بالحسْنِ متَّشِحٍ والسِّحْرِ مُزْدَانِ
ما للأَنام يدٌ فى وَشْيِ بُرْدَتِهِ   جمالُهُ فى مجالِ الْحُسْنِ ربَّانِى
تنوَّعتْ صُوَرُ الفردوسِ واجتمعتْ   فى ظِلِّه بين أَنهار وأَغْصَانِ
فالسَّهلُ مثلُ بساطٍ رَشَّ ناسِجُهُ   سَداهُ بالتِّبْرِ أَو بالعَسْجَدِ القَانِى
والحقل عندَ لِقَاءِ الشَّمْسِ باعِثَةً   حصباؤُهُ نورَ ياقوت ومَرْجانِ
والدُّورُ قد نُثِرَتْ حُمْرًا مُلأْلِئَةً   فيهِ كما نُثِرَتْ حبَّاتُ رُمَّانِ
والماءُ مُنْبجِسٌ من كلِّ مرتفعٍ   من الجبالِ جرى فى شَكْلِ ثعبانِ
كأَنَّما لمستْ رُكْنَ الجبالِ عَصَا   مُوسَى ففاضتْ على روضٍ وَقِيعانِ
تلكَ المفَاتِنُ فيهِ رَمزُ فتْيَتِهِ   خُلْقٌ كصَفْوِ النَّدَى فى قَلْبِ صَوَّان

---

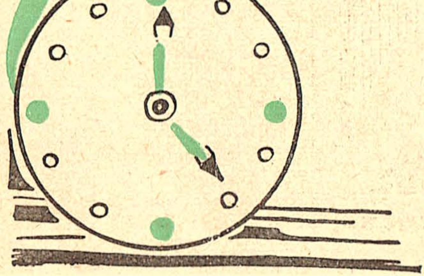
* لعادل الغضبان .





الساعة *

وخرساءُ لم ينطقْ بحرفٍ لسانُها   سوى صوتِ عرقٍ نابضٍ بحشاها
حكتْ لهجةَ التَّمتامِ لفظًا ولم تكنْ   لتفصحَ إلَّا بالزَّمانِ لُغاها
جرتْ حركاتُ الدَّهْرِ فى ضَرَباتِها   وبانتْ مواقيتُ الوَرى بعَماها
على وجهها خطَّتْ علائمُ تهتدِي   بها النّاسُ فى أوقاتِها لمناها
مشتْ بين آناتِ الزَّمانِ تقيسُهُ   وما هو إلَّا مشيُها وخُطاهَا
بها يتقاضى النّاسُ ما يوعدونَه   ويرشدُ ضُلَّالَ الزَّمانِ هداها
تدورُ عليها عقربٌ دورَ حائرٍ   بتيهاءَ غمَّتْ فى الظلامِ صُواها
تريكَ مكانَ الشَّمسِ فى دوَرانِها   إذا حجبتْ عنكَ الغيومُ ضياها
بَنَتْها النُّهَى فى الغابرينَ بسيطةً   فتمَّ على مرِّ الزمانِ بناها
تُنادِي بَنِي الأَيَّامِ فى نَقَراتِها   أنِ اسْعَوْا بجدٍّ بالغينَ مداها
ولا تهملوا الأَوقاتَ فهْيَ بواترٌ   تقطِّعُ أوصالَ الحياةِ شباها



* لمعروف الرصافى (المتوفى سنة ١٩٤٥) .

الأُمُّ الساهرة *

أُمَّاهُ هأَنذا رجعتُ فنامِى ... موفورةَ الآمالِ والأَحلامِ
ما زلتِ يقظى لا يُلمُّ بخاطر ... منك النُّعاسُ، وأَنتِ بين نيامِ
تتسمَّعين الوهمَ من خَطْوِى إذا ... حملَ الهواءُ صدًى من الأَقدامِ
وتحدِّقينَ بكلِّ جارحةٍ ترَى ... ما بين طيَّاتِ الظَّلام الطَّامِى
وتصوغُ أَوهام الحنانِ مخاوفًا ... حولى فيدفعها الرَّجاءُ الظَّامِى
وتَرَيْنَنى الطِّفلَ الَّذى ترْعَيْنَهُ ... بالعطفِ رغمَ شهادةِ الأَعوامِ!
حتى أَعودَ فأَنتِ باسمةٌ ودا ... معةٌ معًا فى لهفةٍ وأُوامِ
وإذا يَدِى بيديك تلتمسينَهَا ... هَرَبًا من الأَشباحِ والأَوهامِ

---

* السيد قطب .

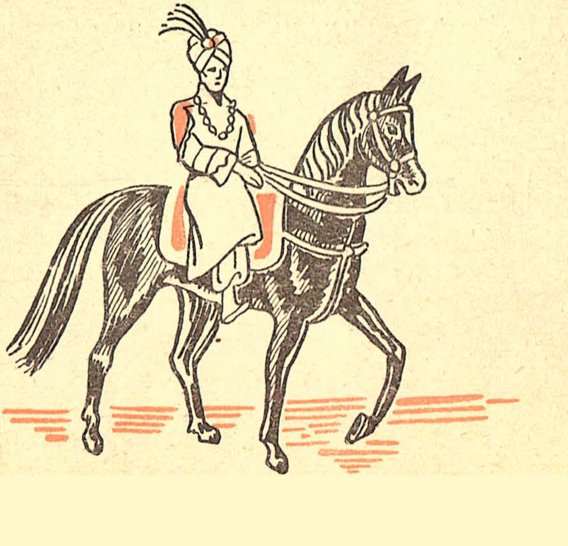


وصف جواد *

أَمَّا الجوادُ فقد بلَوْنا يومَهُ وكفى بيومٍ مخبرًا عن عامِهِ
جارَى الجيادَ فطارَ عن أَوهامِها سبْقًا وكادَ يطيرُ عن أَوهامِهِ
جذلانُ تلطمهُ جوانبُ غرَّة جاءَتْ مجىءَ البَدْرِ عند تمامِهِ
واسْوَدَّ ثم صفَتْ لعينى ناظر جنباتُهُ فأَضاءَ فى إِظْلامِهِ
مالتْ جوانبُ عَرْفِهِ وكأَنَّها عذَباتُ أَثْلٍ مالَ تحتَ حمامِهِ
يختالُ فى استعراضهِ ويكبُّ فى استِدْباره ويشبُّ فى اسْتِقْدامِهِ
وكأَنَّ فارسَهُ وراءَ قَذالِهِ ردفٌ فلستَ تراهُ من قُدَّامِهِ
لانتْ معاطِفُهُ فخيِّلَ أَنَّهُ للخيزُران مناسبٌ بعِظامِهِ

---

* للبحترى (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ).



وَصف شمعة *

نمَّت بـأَسرارِ ليلٍ كاد يُخفِيهَا ... وأَطْلعتْ قلبَها للنَّاسِ من فِيها
يُخشَى عليها الرَّدَى مهما أَلمَّ بها ... نسيمُ ريح إذا وافَى يُحَيِّيهَا
لهاغرائبُ تبدو من محاسِنِهَا ... إذا تفكَّرْتَ يومًا فى معانِيهَا
فالوجنةُ الورْدُ إلَّا فى تناوُلِهَا ... والقامةُ الغصْنُ إلَّا فى تثنِّيهَا
قد أَثمرتْ وردةً حمراءَ طالعةً ... تجنى على الكفِّ إنْ أهْويتَ تَجنِيها
وَرْدٌ تُشَاكُ به الأَيدِى إذاقطفتْ ... وما على غصْنِهَا شوكٌ يوقِّيهَا
صُفرٌ غلائِلُها حُمْرٌ عمائِمُهَا ... سُودٌ ذَوَائبُها بيضٌ لياليهَا
صَفراءُهنديَّةٌ فى اللَّوْنِ إنْ نعتتْ ... والقَدِّواللِّينِ إنْ أَتممتَ تَشْبيهَا
ما إن تزالُ تبيتُ اللَّيلَ ظامئةً ... وما بها غلَّةٌ فى الصَّدْرِ تُظْمِيهَا
تُحْيِى الليالىَ نورًاوَهْىَ تقتلُها ... بئس الجزاءُ لعمرُ الله تجزيها

---

* للأرجانى (٤٦٠ – ٥٤٤ هـ) .

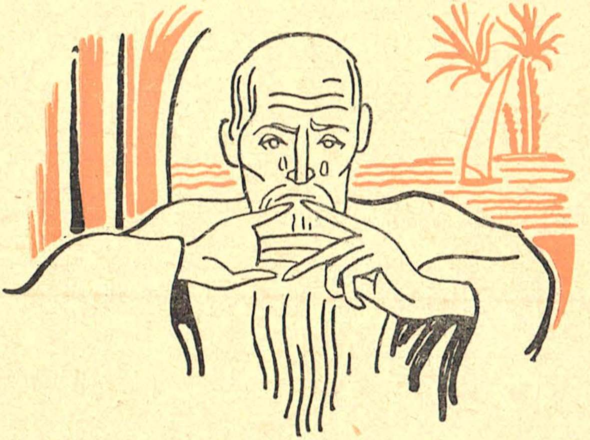
شوق ولوعة*

أَيْنَ أَيَّام لذَّتى وشَبابِى ؟ أَتُراها تعودُ بعدَ الذَّهابِ ؟
ليتَ شِعْرى متى أَرَى روضَة المَــــنْيَلِ ذاتَ النَّخيل والأَعنابِ
حيثُ تجرِى السَّفينُ مستبِقاتٍ فوق نهرٍ مثلِ اللُّجَيْنِ المُذابِ
قد أَحاطَتْ بشاطِئيْهِ قصورٌ مشْرقاتٌ يلُحْنَ مثلَ القبابِ
ملعبٌ تسرحُ النَّواظرُ منهُ بين أَفنانِ جنَّةٍ وشِعابِ
ذاك مَرْعَى أُنسِى وملعبُ لَهوِى وجَنَى صَبْوَتِى، ومَغْنَى صِحابى
لست أَنساهُ ما حييتُ وحاشا أَن تَرانِى لعهدِهِ غيرَ صابِى
ليس يَرعَى حقَّ الودادِ، ولا يَذْ كُرُ عهدًا إِلَّا كريمُ النِّصابِ
يانَدِيمىَّ من «سرنديبَ» كُفَّا عن ملامِى، وخلِّيانى لما بِى
كيف لا أَندبُ الشَّبابَ؟ وقد أَصــبَحْتُ كهلًا فى محنةٍ واغْترابِ
أَخْلَقَ الشَّيْبُ جدَّتِى، وكسانِى خلعةً منه رَثَّةَ الجلبابِ
ولَوَى شَعْرَ حاجِبَىَّ على عيـــنَىَّ حتَّى أَطَلَّ كالهدَّابِ

---

* لمحمود سامى البارودى (المتوفى سنة ١٩٠٤) .

لا أَرى الشيءَ حين يسنحُ إلّا كخيالٍ ، كأَنَّنى فى ضَبَابِ
وإذا ما دعيتُ حرْتُ كأَنِّى أَسمعُ الصَّوتَ من وراءِ حجابِ
كلما رمتُ نهضةً أَقعدتْنى وَنْيةٌ لا تقلُّها أَعصابِى
لم تدعْ صولةُ الحوادثِ منِّى غيرَ أَشلاءِ همَّةٍ فى ثيابِ
فجعتْنى بوالدىَّ وأَهْلِى ثم أَنْحَتْ تكرُّ فى أَتْرابى
كلّ يومٍ يزولُ عنِّى حبيبٌ يا لقلبى من فرقةِ الأَحباب !



الحمامة النائحة *

أَيْكِيَّةٌ صدحتْ شجوًا على فَننٍ   فأَشعلتْ ما خَبا من نارِ أَشجانِى

ناحتْ وما فقدتْ إِلفًا ولا فُجعتْ   فذكَّرتنىَ أَوطارِى وأَوطانِى

طليقةٌ من إِسار الهمِّ ناعمةٌ   أَضحت تجدِّدُ وجدَ الموثَقِ العانِى

تشبَّهتْ بىَ فى وجدِى وفى طَرَبى   هيهاتَ ما نحنُ فى الْحالينِ سِيَّانِ

ما فى حَشاها ولا فى جَفْنِها أَثَرٌ   من نارِ قلبِى ولا من ماءِ أَجفانِى

يا ربَّةَ البانةِ الغَنَّاء تحضُنُها   خضراءُ تلتفُّ أَغصانًا بأَغصانِ

إِن كان نوحُكِ إِسعادًا لمغتربٍ   ناءٍ عن الأَهلِ ممنوٍّ بهجرانِ

فقارِضينى إِذا ما اعتادَنى طَرَبٌ   وجدًا بوجدٍ وسُلوانًا بسُلوانِ

ما أَنتِ منِّى ولا يعنيكِ ما أَخذتْ   منِّى الهمومُ ولا تدرينَ ما شانِى

كِلِى إِلى الغَيْم إِسعادى فإِنَّ لهُ   دمعًا كدمعى وإِرنانًا كإِرنانِى

---

* للطغرائى (المتوفى ٥١٣ هـ . وقيل ٥١٤ هـ . وقيل ٥١٨ هـ . ويقول المؤرخون إنه جاوز الستين) .



رثاءُ أُمّ *

أَبكيكِ لو نقعَ الغليلَ بكائِي | وأَقولُ لو ذهبَ المقالُ بدائِي
وأَعوذُ بالصَّبرِ الجميلِ تعزِّيًا | لوكان بالصبر الجميل عَزائى
طورًا تكاثِرُنى الدُّموعُ وتارةً | آوِى إلى أَكْرومتى وحَيائى
كم عبرة نهنَهتُها بأَناملى | وسترْتُها متجمِّلًا بردائى
أُبْدِى التَّجلُّدَ للعدوِّ ولو درَى | بتململى لقد اشتفَى أَعدائى
قد كنت آملُ أَن أَكون لكِ الفِدا | ممَّا أَلمَّ فكنتِ أَنتِ فدائى
وتفرُّقُ البُعَداءِ بعد مودَّةٍ | صعبٌ ،فكيف تفرُّقُ القُرَباءِ
لو كان مثلَكِ كلُّ أُمٍّ برَّةٍ | غَنِيَ البنونَ بها عن الآباءِ
كيف السلوُّ وكلُّ موقعِ لحظةٍ | أَثرٌ لفضلِكِ خالدٌ بإزائِي
فبأَىِّ كفٍّ أَستجنُّ وأَتَّقى | صرفَ النَّوائب أَم بأَىِّ دُعاءِ؟
ومَنِ المموِّلُ لى إذا ضاقتْ يدِى | ومن المعلِّلُ لى من الأَدواءِ ؟
ومَنِ الَّذى إن ساورتْنى نكبةٌ | كان الموقِّى لى من الأَسواءِ ؟
لو كان يبلغكِ الصَّفيحُ رسائلى | أَوكان يسمعكِ التُّراب ندائى
لسمعتِ طولَ تأَوُّهِى وتفجُّعى | وعلمت حسْنَ رعايتِى ووَفائى

---

* للشريف الرضى (٣٥٩ — ٤٠٦ هـ) .

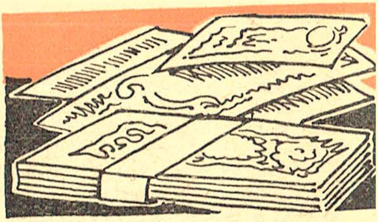
رثاءُ ولد*

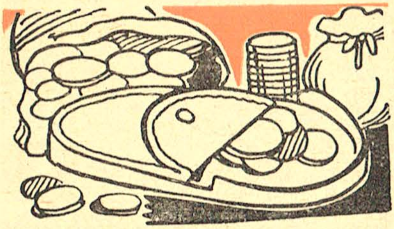
أَبُنَىَّ إِنَّكَ والعزاءَ معًا　　بالأَمسِ لُفَّ عليكما كَفَنُ
تاللهِ لا تنفكُّ لى شَجَنًا　　يمضِى الزَّمانُ وأَنت لى شَجَنُ
ما أَصبحتْ دنيایَ لِى وطَنًا　　بل حيثُ دارُكَ عندِىَ الوَطنُ
ما فِى النَّهارِ وقد فقدتُكَ من　　أُنْسٍ ولا فى الَّليل لِى سَكَنُ
ولقد تُسَلِّى القلبَ ذِكْرَتُهُ　　أَنِّى بأَنْ أَلْقاكَ مُرْتَهِنُ
أَولادُنا أَنتُمْ لنا فِتَنٌ　　وتفارِقونَ فأَنْتُمُ مِحَنُ

---

* لابن الرومى (٢٢١ – ٢٨٣ هـ) يرثى ابنه هبة الله .







المال والرِّجال *

ابْنِ الرِّجالَ وهيِّئِ الأَموالا ... واطلبْ فلستَ ترَى هناكَ محالا
الأَمرُ ليس خطابةً وتَفيْهُقًا ... كلَّا وليس عواطِفًا وخيالا
لكنَّها الأَوطانُ إِن تنهضْ بها ... فاحشدْ لها الأَعمالَ لا الأَقوالا

* * *

للمجدِ أَسلحة إِذا استعرضتَها ... لم تعدُ علمًا نافعًا أَو مالا
من كان يرجو أَن يداويَ شعبَهُ ... فليقتلنَّ الجهلَ والإِقلالا
فتَّشتُ أَدواءَ الشُّعوبِ فلم أَجدْ ... كالفقرِ داءً للشُّعوبِ عُضالا
الفقرُ مثلُ الجهلِ كان كلاهما ... جوعًا وكان كلاهما إِذلالا
الفقرُ يقتُل فى النفوسِ سموَّها ... كيف السموُّ لمن يعيشُ عيالا
لا تحسبوها أُمَّةً قد حُرِّرتْ ... قومًا إِذا ما استُعبدتْ أَموالا

---

* محمود أبو الوفا .

من أَغانى الرُّعاة *

أَقْبَلَ الصُّبْحُ جميلًا يملأُ الأُفْقَ بهاهْ
فتمطَّى الزهْر والطَّيــر وأَمواجُ المياهْ
قد أَفاقَ العالَمُ الْحَــىُّ ، وغنَّى للِحياهْ
فأَفيقى يا خِرافِى واهْرَعى لِى يا شياهْ

* * *

واتْبعينى يا شياهى بينَ أَسرابِ الطُّيورْ
واملئِى الوادِى ثُغاءً ومراحًا وحبــورْ
واسمعى هَمْس السَّواقى وانشقى عطرَ الزُّهورْ
وانظرِى الوادى يغشِّيــه الضَّبابُ المستنيرْ

* * *

واقطفِى من كلإِ الأَرْ ض ومرعاها الجديدْ
واسمعِى شبَّابتى تشــدو بمعسولِ النَّشيدْ
نَغَمٌ يصعدُ من قلْــبى كأَنفاسِ الورودْ
ثم يسمو طائرًا كالــبلبل الشَّادِى السَّعيدْ

---

* لأبي القاسم الشابي (المتوفى سنة ١٩٣٤) .

* * *

وإذا جئنا إلى الغا ب وغطَّانا الشَّجرْ
فاقطفى ما شئتِ من عشــبٍ وزهر وثَمَرْ
أَرْضَعَتْهُ الشَّمْسُ بالضَّو ءِ وغذَّاهُ القَمَرْ
وارْتَوَى من قَطرات الـــطلِّ فى وقتِ السَّمَرْ

* * *

لك فى الغاباتِ مرعا ىً ومسعاىَ الجميلْ
ولِىَ الإنشادُ والعزْ فُ إلى وقتِ الأَصيلْ
فإذا طالتْ ظلالُ الــكلإِ الغَضِّ الضئيلْ
فهلمِّى نرجعُ المســعَى إلى الْحَىِّ النَّبِيلْ



الصَّفْح *

تحيَّرَ بى عدوِّى إذْ تجنَّى عَلَىَّ فما سألتُ عن التجنِّى
وقابلَ بينَ ما أَلْقاهُ مِنْهُ وما يلقَى من الإحسانِ منِّى
يبالغُ فى الخصامِ وفى التَّجافى فأُغرقُ فى الأَناةِ وفى التأَنِّى
أَوَدُّ حياتَهُ ويوَدُّ موتِى وكم بينَ التَّمنِّى والتَّمنِّى
إلى أَنْ ضاقَ بالْبغضاءِ ذرْعًا وحسَّنَ ظنَّهُ بِى حُسْنُ ظَنِّى

* * *

عدوِّى ليس هذا الشَّهْدُ شَهْدِى ولا المَنُّ الَّذِى استحليتَ مَنِّى
فلِى أُمٌّ حنونٌ أَرْضعتْنى لبانَ الْحُبِّ من صدرٍ أَحَنِّ
عَلى بسماتِها فتَّحْتُ عينى ومن لَثَماتِها روَّيْتُ سِنِّى
كما كانتْ تناغِينى أُناغِى وما كانت تغنِّينى أُغَنِّى
سقانى حبُّها فوق احتياجى ففاضَ علَى الوَرَى ما فاضَ عَنِّى

---

* لرشيد سليم الخورى الملقب بالشاعر القروى .

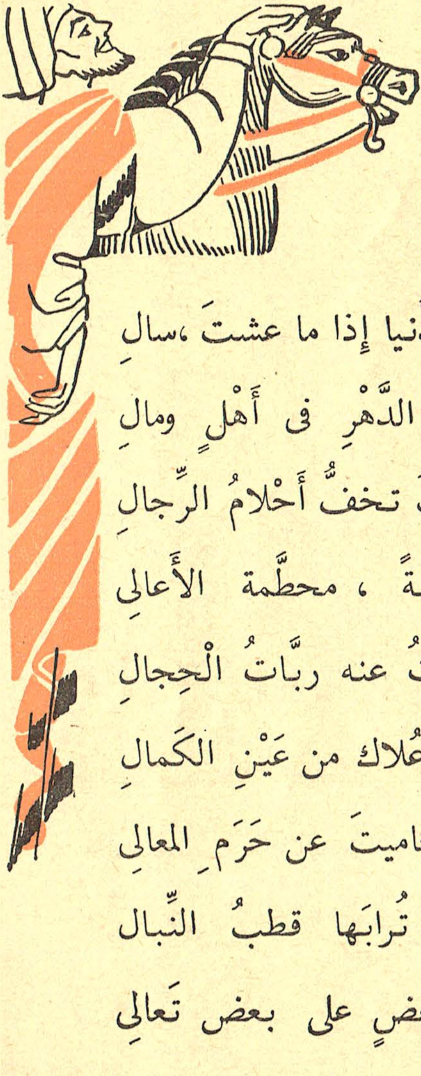




الشَّريد*

أَطَلَّتِ الآلامُ من جُحْرِهِ ... ولُفَّتِ الأَسْقامُ فى طِمْرِهِ
بُرْدَتُهُ اللَّيلُ على بَرْدِهِ ... وكُنُّهُ القيظُ على حَرِّهِ
ما ذاقَ حلوَ اللَّثْمِ فى خَدِّهِ ... ولا حنانَ المسِّ فى شَعْرِهِ
ولا حوَتْهُ الأُمُّ فى صدرِها ... ولا أَبٌ ناغاهُ فى حِجْرِهِ
قد كَتَبَ اللهُ على خَدِّهِ ... خطًّا يبين البؤس فى سَطْرِهِ
وغارَ ضوءُ الحسِّ من عينهِ ... وفرَّ لَمْحُ الأُنس من ثَغْرِهِ
إنْ نامَ أَبصرتَ بهِ كتلَةً ... تجمعُ ساقيْهِ إلى نحْرِهِ
احْتبست «أَوَّاهُ» فى قلبهِ ... واختنقتْ «ويلاهُ» فى صَدْرِهِ
واهًا لكفٍّ لصقتْ بالثَّرَى ... وائتدمتْ بالبؤسِ من عَفْرِهِ
ماذا على الإحسانِ لو رَدَّها ... نديَّةَ الأَطرافِ من بِرِّهِ ؟
كم بسمةٍ أَرسلها محسنٌ ... أَزْهَى من الرَّوْضِ ومن زَهْرِهِ
لو عَرَفَ الإنسانُ ما أَجْرُهُ ... ما ضنَّ بالنَّفْسِ على أَجْرِهِ

* لعلى الجارم (المتوفى سنة ١٩٤٩) .



فخر *

أ « سيفَ الدَّوْلةِ » المأمُولُ ، إنِّى   عن الدُّنيا إذا ما عشتَ ، سالِ

ومَنْ وَرَدَ المهالكَ لم ترعْهُ   رزايا الدَّهْرِ فى أَهْلٍ ومالِ

أَلَمْ أَثْبتْ لها ، والخيلُ فَوْضَى   بحيثُ تخفُّ أَحْلامُ الرِّجالِ

تركتُ ذوابلَ المُرَّانِ فيها   مخضَّبةً ، محطَّمة الأَعالِى

وعُدتُ أَجُرُّ رُمْحِى عن مقامٍ   تحدَّثُ عنه ربَّاتُ الْحِجالِ

فقائلةٍ تقولُ أَبا فراسٍ ،   أُعِيذُ عُلاك من عَيْنِ الكَمالِ

وقائلةٍ تقولُ جزيتَ خيرًا   لقد حاميتَ عن حَرَمِ المعالِى

ومهرى لا يمسُّ الأَرضَ زَهْوًا   كأَنَّ تُرابَها قطبُ النِّبالِ

كأَنَّ الخيلَ تعرفُ مَنْ عليها   ففى بعضٍ على بعض تَعالِى

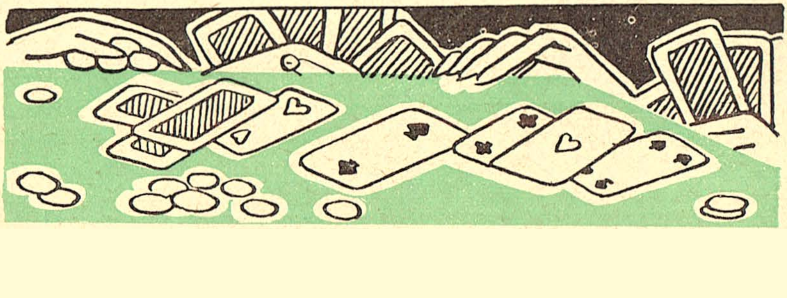
---

* لأبى فراس (٣٢٠ – ٣٥٧ هـ) .

القمار *

لكلٍّ نقيصة فى النَّاسِ عارٌ وشرُّ معايبِ المَرْءِ القِمارُ
هو الدَّاءُ الذى لا بُرْءَ منهُ وليس لذَنْبِ صاحبهِ اغْتِفارُ
تُشادُ لهُ المنازلُ شاهقاتٍ وفى تشييد ساحتِها الدِّمارُ
نصيبُ النَّازلينَ بها سهادٌ فإفلاسٌ فيأْسٌ فانتحارُ
وبئسَ المالُ لا تحظى يمينٌ بهِ حتى تسلِّمَه اليَسارُ
كأَنَّ الزِّئبقَ الرَّجراجَ فيهِ يديرُ فلا يقرُّ له قرارُ
كأَنَّ المالَ بينهمُ نجومٌ ورقعةَ لُعْبِهمْ فلَكٌ مُدارُ
تراهمْ حوْلَ بسْطَتِها قعودًا يديرُ عيونَهم ورقٌ يُدارُ
عصائبُ لا يودُّ المرءُ فيها أَخاهُ ولا يُراعِى الجارَ جارُ
كأَنَّ عيونَهمْ لمَّا أُديرتْ فَراشٌ حائمٌ والمالَ نارُ
وبئستْ خلَّةُ الفتيانِ هَمٌّ وإِتْعابٌ وخسرانٌ وعارُ

* لنجيب الحداد (المتوفى سنة ١٨٩٩) .



كن بلسمًا *

كن بلسمًا إنْ صارَ دهرُكَ أَرْقَمَا ... وحلاوَةً إن صار غيرُك عَلْقَما
إنَّ الحياةَ حَبَتْكَ كلَّ كنوزِها ... لا تبخلن على الحياةِ ببعضِ مَا..
أَحْسِنْ وإِنْ لم تُجزَ حتَّى بالثَّنا ... أىَّ الجزاءِ الغيثُ يبغى إنْ هَمَى ؟
مَنْ ذا يكافِئُ زَهرةً فوَّاحةً ؟ ... أو مَنْ يثيبُ البلبلَ المترنِّمَا ؟
عُدَّ الكرامَ المحسنينَ وقِسْهُمُ ... بهما تجدْ هذين منهم أَكْرَمَا
ياصاحِ خذْ عِلْمَ المحبَّةِ عنهما ... إنِّى وجدتُ الْحُبَّ عِلْمًا قَيِّمَا
لولم تَفُحْ هذِى ، وهذا ماشَدَا ... عاشتْ مذمَّمةً وعاشَ مُذَمَّمَا
أَيقظْ شعورَك بالمحبَّةِ إنْ غَفا ... لولا الشُّعورُ النَّاسُ كانوا كالدُّمَى
أَحببْ فيغدو الكوخُ كونًا نيِّرا ... وابغضْ فيمسى الكونُ سجنًا مُظْلِما

---

* لإيليا أبى ماضى (المتوفى سنة ١٩٥٧) .



يتيمٌ وأُم *

نَظَرَ الطِّفلُ إليها صامتًا ... وبعينيهِ حديثٌ وأَلَمْ
ليتَ شِعْرِى ما بهِ ؟ ما يبتغِى ... أَبنفسِ الطِّفلِ سُؤْلٌ مكتَمْ ؟
لو أَرادَ النَّجمَ لاحتالتْ لهُ ... كلُّ سُؤْلٍ هيِّنٌ مهما عظمْ
وحَنَتْ تسأَلُ عن طِلْبَتِهِ ... فرنَتْ عينٌ لهُ وافْتَرَّ فَمْ
قالَ : يا أُمِّى ترى أَين أَبِى ... لِمَ لا يرجِعُ من حيثُ اعتزَمْ !
ناشِديهِ واسأَليهِ عودةً ... فَلَكَمْ يفرحُ قلبِى لو قدمْ !

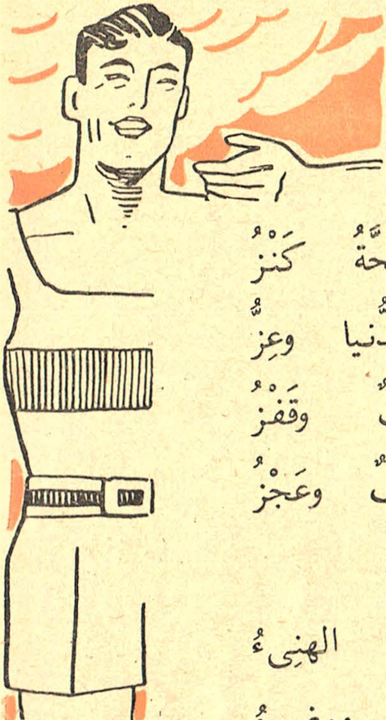
* * *

لا تسلْ عن جُرْحِها كيف مَضَى ... مِنْ هُنا أَوْ مِنْ هنا ينزفُ دَمْ
ضمَّتِ الطِّفلَ إليها بيدٍ ... وبأُخرى مسحتْ دمعًا سجمْ
عَزَّ ما يطلبُه يا رَحْمَتا ! ... كيف تأْتِى برفاتٍ ورِمَمْ !

---

* لفدوى طوقان .





من مريض إلى صحيح *

حَفِظَ اللهُ لكَ الصِّحَّةَ ، فالصِّحَّةُ كَنْزُ
وهْيَ - لو تدرى - عزاءٌ لكَ فى الدُّنيا وعِزُّ
الْخُطَى عِندكَ إذ تقصرُها وَثْبٌ وقَفْزُ
والْخُطَى عندىَ إذ أو سِعُها ضعْفٌ وعَجْزُ

* * *

الرُّؤَى العَذْبَةُ والرَّاحة والنَّوْمُ الهنِىءُ
والمسرَّاتُ ... بها ليلُكَ يزهو ويضىءُ
وأنا ليلىَ بالأَوْجاعِ يمضى ويَجىءُ
وأَنيسى فى دجاهُ اليأْسُ والموتُ البطىءُ

* * *

أَنتَ والصِّحَّةُ إلْفانِ فعِشْ واهْنَأْ مُعَافَى
واختطفْ فى ظلِّها البهجة والأُنْسَ اختطافَا
قبلما يُدْرِككَ اللَّيْلُ الَّذى يغشَى الضِّعافَا
ثم تصحُو ... ثُمَّ لا تَلْقَى من النَّاسِ انعطافَا

---

* لعبد العزيز عتيق .

رفيق السُّوءِ*

إذا جاريتَ فى خُلُقٍ دنيئًا فأَنتَ ومَنْ تجاريهِ سَواءُ
رأَيْتُ الْحُرَّ يجتنبُ المخازِى ويحميهِ عن الغدْرِ الوَفاءُ
وما منْ شدَّةٍ إلَّا سيأْتِى لها من بَعْدِ شدَّتِها رخاءُ
لقدجرَّبتُ هٰذا الدهْرَ حتَّى أَفادتْنِى التَّجاربُ والعناءُ
إذا ما رأْسُ أَهْلِ البيتِ وَلَّى بدا لهمُ من النَّاسِ الجَفاءُ
يعيشُ المرءُ ما اسْتَحْيا بخيرٍ ويبقى العودُ ما يبقى اللِّحاءُ
فلا واللهِ ما فى العيشِ خيرٌ ولا الدُّنيا إذا ذَهبَ الحَياءُ
إذا لَمْ تخشَ عاقبةَ اللَّيالى ولم تستَحْيِ فاصْنَعْ ما تَشاءُ

---

* لأبى تمام (١٩٠ – ٢٣١ هـ) .



بيروت الجريحة *



الجريح :

«لَيْلاىَ» ما أَنا حىٌّ ‌ يُرْجَى ولا أَنا ميْتُ
لم أَقضِ حقَّ بلادى ‌ وها أَنا قد قضيتُ
شفيتُ نفسى لوَ انِّى ‌ لما رُميتُ رَمَيْتُ
«بيروتُ» لو أَنَّ خصمًا ‌ مَشى إلَّى مَشيتُ
أَو داسَ أَرضكِ باغٍ ‌ لدُسْتُهُ وبغيتُ
أَو حلَّ فيكِ عدوٌّ ‌ مُنازِلٌ ما اتَّقيتُ
لكنْ رماكِ جبانٌ ‌ لو بانَ لى لاشْتفيتُ

---

* لحافظ إبراهيم (المتوفى سنة ١٩٣٢).

«ليلاىَ» لا تحسبيني على الحياةِ بكيتُ
ولا تظنّي شكاتي من مصرَعِي إن شكوتُ
ولا يخيفنْكِ ذكرِى «بيروتِ» أنَّى سلوتُ
«بيروتُ» مَهْدُ غرامي فيها وفيك صبوتُ
فيها بنى لِيَ مجدًا أوائلٌ وبنيتُ
«ليلَى» سراجُ حياتِي خبا فما فيهِ زيتُ
قد أطفأتْهُ كُراتٌ ما من لظاهُنَّ فَوْتُ
رمى بهنَّ بغاةٌ أصبننى فثويتُ

ليلى :

لو تُفْتَدَى بحياتي من الرَّدَى لفديتُ
ولو وقاكَ وفِيٌّ بمهجةٍ لوقيتُ
إن عشتَ أو متَّ إني كما نويتَ نويت

الجريح :

«ليلاىَ» عيشي وقرِّى إذا الحِمامُ دعانِي
«ليلاىَ» ساعاتُ عمرى معدودةٌ بالثَّوانِي

فكفكفى من دموعٍ تَفْرِى حشاشةَ فانِى
ومهِّدِى لِيَ قبرًا على ذرَى « لبنان »
ثمَّ اكْتبِى فوقَ لوحٍ لكلِّ قاص ودانى :
هنا الَّذى مات غَدْرًا هنا فتى الفتيانِ
رمَتهُ أَيدِى جناةٍ من جيرةِ النِّيران
قرصان بحرٍ تولَّوْا من حومةِ المَيْدانِ
لم يخرجوا قيدَ شبرٍ عن مسبح الحيتانِ
ولم يطيقوا ثباتًا فى أوْجهِ الفرسانِ
فشمَّروا لانتقامٍ من غافِل فى أَمانِ
تَبًّا لهمْ من بغاثٍ فرُّوا من العقبانِ
لو أَنَّهم نازلونا فى الشَّام يوم طعانِ
رأَوا طرابُلْسَ تبدو لهم بكلِّ مكانِ
يا ليتنى لم أُعاجَلْ بالموتِ قبل الأَوانِ

حتى أرى الشَّرق يسمو رغم اعتداءِ الزَّمانِ
ويستردُّ جلالًا له ورفعةَ شانِ
لأهُمَّ جدِّدْ قوانا لخدمة الأَوطانِ

ليلى :

إنِّى أَرى من بعيد جماعةً مقبلِينَا
لعلَّ فيهمْ نصيرًا لعلَّ فيهمْ معينا

العربى :

هوِّنْ عليكَ تماسَكْ إنِّى سمعتُ أَنينَا
أَظُنُّ هٰذا جريحًا يشكو الأَسى أَو طعينا
باللهِ ماذا دَهاهُ يا هٰذهِ خبِّرينا

ليلى :

لقد دَهَتْهُ المَنايا من غارةِ الخائنينَا
صبُّوا علينا الرَّزايا لم يتَّقُوا اللّٰهَ فينا
فخفِّفوا من أَذاهُ إن كنتمُ فاعلينا

العربى ـ :

لا تيأَسْ وتجلَّدْ أراكَ شَهمًا ركينَا
أَبشِرْ فإنكَ ناجٍ واصبرْ مع الصّابرينا

الطبيب :

أَوَّاه إنى أَراهُ بالموت أَمسى رهينَا
جراحُهُ بالغاتٌ تُعْيِى الطبيبَ الفطينا
وعن قريب سيقضِى غضَّ الشبابِ حزينا

العربى :

أُفٍّ لقومٍ جياعٍ قد أزْعَجوا العالَمينا
قِراهُمُ أينَ حلُّوا ضربٌ يقدُّ المتونَا
عقُّوا المروءَةَ هدُّوا مفاخرَ الأَوَّلينا
عاثُوا فسادًا وفرُّوا يستعجلون السَّفينا
وأَلْبَسُوا الغربَ خزْيًا فى قرنه العشرينا
وأَلْجَموا كلَّ داعٍ وأَخْرجوا المصلحينا
فيا «أُرُبَّةُ» مهلًا أين الَّذى تدَّعينا
ماذا تريدينَ منَّا والدَّاءُ ، أَمسى دفينا
أَين الحضارةُ إنَّا بعيشِنا قد رضينا
لم نؤْذِ فى الدَّهْر جارًا ولم نخاتِلْ خدينَا

الجريح :

رأَيتُ يأْسَ طبيبِى وهَمْسَه فى فؤَادِى
لا تندبينى فإنى أَقْضى وتَحْيا بلادِى

العربى :

أَسْتودع اللهُ شَهْمًا نَدْبًا طويلَ النِّجادِ
أَستودع اللهَ روحًا كانتْ رجاءَ البلادِ
فيا شهيدًا رمتْهُ غَدرًا كُراتُ الأَعادِى
نمْ هانِئًا مطمئِنًّا فلم تَنَمْ أَحْقادِى
فسوفَ يُرْضيكَ ثأْرٌ يُذيبُ قلبَ الجَمادِ



النـــثر

آيات من القرآن الكريم

من مكارم الأخلاق *

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ
أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا * وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ
إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ
تَأْوِيلًا * وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا * وَلَا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ
مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا * كُلُّ
ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا .

---

* من سورة الإسراء .

رحمة الله *

وَهُوَ ٱللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَى وَٱلآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ ٱللهُ عَلَيْكُمُ ٱللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.

* من سورة القصص .

دعاء *

إنَّ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ * ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ ٱللهِ وَٱللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ .

---

* من سورة آل عمران .

آداب دخول البيوت*

يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا فارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيم * لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ .

---

* من سورة النور .

أَحاديث نبوية للرسول الكريم

الذين يقولون بأَلسنتهم

قال صلى الله عليه وسلم :

يجاءُ بالرَّجلِ يومَ القيامةِ فيُلقى فى النَّارِ فتندلقُ أَقتابُه فى النَّار ، فيدورُ كما يدورُ الحمار ، فيجتمع أَهل النارِ فيقولون : يا فلان ما شأْنكَ ؟ أَلستَ كنتَ تأْمُرنا بالمعروفِ وتنهانا عن المُنْكَرِ ؟ قال : كنتُ آمُركمْ بالمعروفِ ولا آتيه ، وأَنهاكمْ عن المُنْكَرِ وآتيهِ .

الرحمة بالطير

عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أَبيه قال :

كنا مع رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فى سَفَر ، فرأَينا حُمَّرةً معها فرخانِ ، فأَخذناهما ، فجاءَت الحمَّرة تُفَرِّش . فلما جاءَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال : من فجعَ هذهِ بولدِها ؟ رُدُّوا ولدَها إليها .

على كل مسلم صدقة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : على كلِّ مسلمٍ صدقةٌ . قيلَ : أرأَيتَ إنْ لم يجدْ ؟ قال : يَعملُ بيديْه فينفعُ نفسه ويتصدق . قيلَ : أرأَيت إنْ لم يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف . قيل : أرأَيتَ إنْ لم يستطع ؟ قال : يأْمُرُ بالخير . قيل : أرأَيت إن لم يفعل ؟ قال : يمسك عن الشرِّ فإنها صدقة .

حق الطريق

قال - صلى الله عليه وسلَّم - إياكم والجلوسَ على الطُّرُقات . قالوا : يا رسولَ الله ما لنا بدّ إنما هي مجالسُنا نتحدَّثُ فيها . قال : فإذا أبيتم إلَّا المجالس فأَعطوا الطَّريقَ حقَّها . قالوا : وما حقُّ الطَّريق : قال : غضُّ البصرِ ، وكفُّ الأَذى ، وردُّ السَّلام ، والأَمرُ بالمعروف ، والنهيُ عن المُنْكَر .

حسن الصحابة

جاءَ رجل إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم فقال :
يا رسولَ الله : مَنْ أحقُّ بحسنِ صحابتى ؟ قال : أُمُّكَ . قال : ثمَّ مَنْ ؟ قال : أُمُّكَ . قال : ثمَّ مَنْ ؟ قال : أُمُّكَ . قال : ثمَّ مَنْ ؟ قال : أَبُوكَ .

العدل

عن عائشةَ رضىَ الله عنها ، أَن قريشًا أَهمَّهم شأْنُ المرأة المخزومية الَّتى سرقت . فقالوا : مَنْ يكلِّمُ فيها رسولَ الله — صلَّى الله عليه وسلَّم — فقالوا : ومَنْ يجترئُ عليه إلَّا أُسامة ابن زيد حِبُّ رسول الله — صلَّى الله عليه وسلَّم — فكلَّمه أُسامةُ ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : أَتشفعُ فى حدٍّ من حدود الله ؟ ثم قام فاختطب ، ثم قال : « إنَّما أَهلَكَ الذين من قبلكم ، أَنهم كانوا إذا سرق فيهم الشَّريفُ تركوهُ ، وإذا سرق فيهم الضَّعيفُ أَقاموا عليه الحدَّ . وايْمُ الله لو أَنَّ فاطمة بنتَ محمَّد سرقتْ لقطعتُ يَدَها » .

مختارات أدبية

سياسة الجند*

... وإذا قدمتَ على جندِكَ فأَحْسِنْ صحبَتَهُمْ ، وابْدَأْهم بالخير ، وعِدْهم إيَّاه ، وإذا وعظتَهمْ فأَوْجِزْ ، فإنَّ كثير الكلام يُنْسِي بعضه بعضاً ، وأَصْلِحْ نفسكَ يصلحْ لك النَّاسُ ، وإذا قدم عليك رسلُ عدوِّكَ فأَكْرِمْهمْ ، وأَقلِلْ لبْثَهُمْ حتَّى يخرجوا من عسكرِكَ وهم جاهلونَ به ، ولا تريِّثْهُم فَيروا خَلَلَكَ ، ويعلموا علمَكَ ، وأَنْزِلهم فى ثروةِ عسكرِك ، وامنعْ مَن قِبَلَكَ من محادثتهم ؛ وكن أَنتَ المتولى لكلامِهم .

واسْمُرْ باللَّيْل فى أَصحابك تأْتك الأَخبار ، وتنكشفْ عندك الأَستار ، وأَكثر حرَسَك ، وبدِّدهم فى عسكرك ، وأَكثر مفاجأَتهم فى محارسهم بغير علم منهم بك ، فمن وجدته غفل عن محرسه فأَحْسِن أَدَبَه وعاقبْهُ فى غير إفراط ، وعقِّب بينهم باللَّيل ، واجعل النَّوْبة الأُولى أَطول من الأَخيرة فإنَّها أَيسرُهما لقربها من النَّهار !

* من وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان حين وجهه لفتح الشام .

المقامة العلمية *

حدَّثنا عيسى بنُ هِشامٍ قال : كنتُ في بعضِ مطارحِ الغُرْبَةِ مجتازًا فإذا أنا برجلٍ يقولُ لآخرَ : بِمَ أَدْرَكْتَ العلمَ ؟ وهو يجيبُهُ قال : طلبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ بعيدَ المَرامِ لا يُصطادُ بالسِّهامِ ولا يقسمُ بالأَزلام ، ولا يُرَى في المنامِ ، ولا يُضْبَطُ باللِّجامِ ، ولا يُورَثُ عن الأَعمامِ ، ولا يُسْتعارُ من الكرامِ .

فتوسَّلْتُ إليه بافتراشِ المَدَر ، واسْتنادِ الحَجَر ، ورَدِّ الضَّجَرِ ، وركوب الخَطَر ، وإِدْمان السَّهَر ، واصطحابِ السَّفَر ، وكثرةِ النَّظَر ، وإعمال الفِكر ، فوجدتُه شيئًا لا يصلحُ إلَّا للغَرْسِ ، ولا يُغْرَسُ إلَّا في النَّفْسِ ، وصيدًا لا يقعُ إلَّا في النَّدْرِ ، ولا يَنْشَبُ إلَّا في الصَّدْرِ ، وطائرًا لا يخدعهُ إلَّا قَنْصُ اللَّفظ ، ولا يَعْلَقه إلَّا شَرَكُ الحِفْظ ، فحملتُهُ على الرُّوح ، وحبستُهُ على العين ، وأَنْفَقْتُ من العَيْشِ ، وخزَنْتُ في القلبِ ، وحرَّرْتُ بالدَّرْسِ .

---

* لبديع الزمان الهمذاني (٣٥٨ — ٣٩٨) هـ .

واسترحتُ من النَّظرِ إلى التَّحقيقِ ، ومن التَّحْقيقِ إلى التَّعليقِ ، واستعنتُ فى ذلك بالتَّوْفيق. فسمعتُ من الكلامِ ما فَتَقَ السَّمْعَ ، ووَصَل إلى القلبِ ، وتغلغل فى الصَّدْرِ . فقلتُ : يا فتى ! ومن أَين مطلَعُ هذه الشَّمْس . فجعلَ يقول :

إسكندريَّةُ داری لو قَرَّ فيها قَراری

لكنَّ بالشَّامِ ليلِى وبالعِراقِ نَهارِى



مخاوف *

وكان الصَّبيُّ يقبل على طعامهِ راغباً عنه حيناً راغبًا فيه حينًا آخر ، ولكنَّه كان يستنفده على كلِّ حال : كان يبيحُ لنفسه الإقلالَ من الطَّعام إذا أكل مع أخيه ، ولم يكن أَخوه يكلِّمه فى ذلك أَو يسأَله عنه . فأَمَّا إذا خلا إلى طعامِهِ فقد كان يأتى عليه كله حتى لو رغبَ عنه أَو ضاق به مخافَة أَنْ يبقى منه شيئًا ، ويعود أَخوه ويرى ذلك فيظنَّ به المرض أَو يظنَّ به الحزن . وكان أَبْغض شيءٍ إليه أَنْ يثير فى نفس أَخيه همًّا أَو قلقًا .

كان إذنْ يقبلُ على طَعامه ، حتَّى إذا فرغ منهُ عاد إلى سكونهِ وجمودهِ فى ركنه الذى اضْطُرَّ إليه ، وقد أَخذ النَّهارُ يتصرَّم وأَخذت الشَّمس تنحدر إلى مغربها ، وأَخذ يتسرَّب إلى نفسه شعورٌ شاحبٌ هادئٌ حزين . ثم يدعو موَذّن المغرب إلى الصلاة ، فيعرف الصبيُّ أَنَّ الَّليل قد أَقبل ، ويقدر فى نفسه أَنَّ الظُّلمة قد أَخذت تكتنفه ، ويقدر فى نفسه أَنْ لو كان معه فى الغرفة بعضُ المبصرين لأَضىءَ المصباح ليطرد

---

* لطه حسين .

هذه الظُّلمة المتكاثفة ، ولكنه وحيدٌ لا حاجة له إلى المصباح فيما يظنُّ المبصرون ، وإن كان ليراهم مخطئين فى هذا الظنِّ ، فقد كان ذلك الوقت يفرِّق تفرقة غامضة بين الظُّلمة والنُّور ، وكان يجد فى الظُّلمة وحشةً لعلها كانت تأْتيه من عقله الناشئ ومن حسِّه المضطرب . والغريب أَنَّهُ كان يجد للظُّلمة صوتًا يبلغ أُذنيه ، صوتًا يشبه طنين البعوض لولا أَنَّهُ غليظٌ ممتلئ . وكان هذا الصَّوْتُ يبلغ أُذنيه فيؤذيهما ، ويبلغ قلبه فيملوه روعًا ، وإذا هو مضطرٌّ إلى أَن يغيِّر جلسته فيجلس القرفصاء ، ويعتمد بمرفقيه على ركبتيه ويخفى رأْسه بين يديه ويسلِّم نفسه لهذا الصَّوْت الَّذى يأْخذه من كلِّ مكان ؛ ومع أَنَّ سكونَ العصر كان كثيرًا ما يضطرُّهُ إلى النَّوْم ، فقد كان سكونُ العشيَّة يضطرُّه إلى اليقظة الَّتى لا تشبهها يقظة .

وكان ينتهى إلى أَنْ يأْلف صوت الظُّلمة ويطمئن إليه . ولكنَّ فى الغرفة أصواتاً أُخرى كانت تفزعه وتروعه ، أَصوات مختلفة ، فقد كانت هذه الغرفة من غرفات الأَوقاف ، ومعنى ذلك أَنَّها كانت قديمة ، قد طال عليها العهد ، وبُعد بها الأَمد وكثرت فى جدرانها الشُّقوق ، وعَمَّرت هذه الشقوق طوائف من الحشرات

وغيرها من صغار الحيوان ، وكانت هذه الحشرات وهذه الصِّغار من الحيوان كأَنما وكلت بالصبيِّ إذا أَقبل اللَّيل عليه ، وهو قابع وحده فى ذلك الرُّكن من أَركان الغرفة ، فهى تبعث من الأَصوات الضَّئيلة وتأْتى من الحركات الخفيفة السَّريعة حينًا والبْطيئة حينًا آخر ما يملأُ قلب الصبيِّ هلعًا ورعبًا ، فإِذا أَقبل أَخوه وحده أَو مع أَصحابه فأُضيءَ المصباح انقطعت هذه الأَصوات والحركات كأَنها لم تكن . وكان الصبيُّ من أَجل هذا ومن أَجل أَشياءَ أخرى غير هذا لا يجرؤ على أَن يذكر من أمر هذه الأَصوات والحركات شيئًا . وأَيسر ما كان يخاف إنْ تحدَّث ببعض ذلك أَنْ يسفَّه رأْيه وأَنْ يظنَّ بعقله وبشجاعته الظُّنون ، فكان يؤثر العافية ويكظم خوفه من الحشرات وصغار الحيوان .

أين الفضيلة ؟*

إنْ كان صحيحًا ما يتحدَّثُ بهِ النَّاسُ من سعادةِ الحياة وطيبها وغبطتها ونعيمها ، فسعادتى فيها أَنْ أَعثُرَ فى طريقى فى يوم ٍ من أَيَّام حياتى بصديقٍ يصدقنى الودَّ وأَصدقه ، فيقنعه منِّى ودِّى وإخلاصى ، دون أَنْ يتجاوز ذلك إلى ما وراءه من مآربَ وأَغراضٍ ، وأَنْ يكون شريفَ النَّفسِ فلا يطمعُ فى غير مطمع ، شريفَ القلب فلا يحملُ حقدًا ولا يحفظ وِتْرًا . شريفَ اللِّسانِ فلا يكذبُ ولا ينمّ ولا يُلمُّ بعرْض ولا ينطق بِهُجْرٍ ، شريفَ الحبِّ فلا يحبُّ غيرَ الفضيلةِ ولا يبغِض غير الرَّذيلَةِ !

إنِّى لأَرى الرِّياض الغنَّاءَ تَهفو أَشجارُها وترنُّ أَطيارُها ، وأَرى جدَاولَ الماءِ تنسابُ بين أَنوارِها وأَزهارِها انسيابَ الأَفاعى الرَّقْطاءِ فى الرِّمال البيضاءِ . وأَسمعُ ما بين صفير البلابل وخريرِ الجداولِ نغماتٍ شجيَّةً تبلغ من نفس الإِنسان ما لا تبلغُ أَوتارُ العيدانِ فلا يسرُّنى منها منظر ، ولا يطربنى مسمع لأَنِّى لا أَرى بين هذهِ المشاهد الَّتى أَراها ضالَّتى الَّتى أَنْشدُها .

---

* لمصطفى لطفى المنفلوطى (المتوفى سنة ١٩٢٤) .

ابنى *

ابْنِى معناهُ أَنَا ، ولستُ أُريدُ « بأَنا » كُلِّى بل إنَّما أُريد به عصارةَ ما فىَّ من عطفٍ ورحمةٍ وأَملٍ وشعورٍ بأَسعد السَّعادة وأَجمل الجمال .

هأَنذا أُقبِّلُ ولدى ، وإنِّى لأَجدُ لقبلتِه من اللَّذة ما لا أَجدهُ لشىءٍ من لذائذِ الدُّنيا . هى لذَّةٌ فيها شدَّةٌ وفيها رِفقٌ ، وفيها عنفٌ وفيها لِينٌ ، وفيها حَرٌّ وفيها بَرْدٌ ، وفيها وراء ذلك حلاوةٌ لا يتعلَّقُ بها وصفُ الواصفين . أرأَيتَ هذا الَّذى أَلَحَّ عليه الظَّمأُ فى اليوم القائظِ حتَّى استحالَ الظَّمأُ فى حلقِه أُوارًا ، ثم أَقبلَ على الشَّبِم الزُّلال فجعلَ يعبُّ منه عَبًّا حتَّى ينقع غلَّته نقعًا ؟ اللَّهمَّ إنى لأَجدُ فى تقبيل ولدى أَشدَّ من هذا وأَحلى وأَروح ؛ لو لا أَنَّ اللَّذة فيه لا تنقضِى والغَلَّة إليه لا تنقع على كثرةِ العبِّ وعلى توالى الرَّشيف .

وإنِّى لأَسمعُ صوتَ ولدى الصَّغير فى لَغْوِهِ أَو فى كلامِهِ أَو فى ضحكه فيشيع فىَّ الطَّرَبَ ما لا يشيع أَندى الأَصوات ، ولا نغم عود فى يد أَحذق الضَّاربين ، بل إنِّى لأَجد منه ما يجد الشَّجر إذا نزل عليه الماء فاهتزّ العود وضحِكَ الزَّهر .

---

* لعبد العزيز البشرى (المتوفى سنة ١٩٤٣) .

الأُمّ *

إنَّ أَعْذَبَ ما تُحْدِثُهُ البَشَرِيَّةُ فى الشِّفاهِ هو لَفْظَةُ الأُمّ ، وأَجْمَلَ مناداة فى الوُجُودِ هى : يا أُمِّى ،. كلمة صَغيرَةٌ كبيرَةٌ مَمْلُوءَةٌ بالأَمَلِ وَالْحُبِّ والانْعِطافِ ، وكلّ ما فى القَلْبِ البَشَرِىِّ من الرِّقَّةِ والْحلاوَةِ والعُذُوبةِ . الأُمُّ هى كلُّ شىءٍ فى هذه الْحياةِ : هىَ التَّعْزِيَةُ فى الْحُزْن ، والرَّجاءُ فى اليَأْسِ ، والقُوَّةُ فى الضَّعْف ، هىَ يَنْبُوعُ الْحُنُوِّ والرَّأْفَةِ والشَّفَقَةِ والغُفْرأن ، فالَّذِى يَفْقِدُ أُمَّهُ يَفْقِدُ صَدْرًا يُسْنِدُ إليهِ رَأْسَهُ ويَدًا تُباركهُ وعَيْنًا تَحْرُسُهُ .

والشَّمسُ هى أُمُّ هذهِ الأَرْضِ تُرْضِعُها حَرارَتَها ، وتَحْضُنُها بنورِها ، ولا تُغادِرُها عَنْدَ المَساءِ إِلَّا بَعْدَ أَن تَنامَ عَلَى نَغْمَةِ أَمْواجِ البَحْر وتَرنِيمةِ العَصافِيرِ وَالسَّواقِى — وهذهِ الأَرْضُ هى أُمٌّ للأَشْجار والأَزْهار تَلِدُها وتُرْضِعُها ثُمَّ تفْطِمُها. والأَشْجارُ والأَزْهارُ تَصِيرُ فى وَقْتِها أُمَّهاتٍ حَنُونات للأَثْمارِ الشَّهيةِ والبُزُورِ الحيَّة .

إن لَفْظَةَ الأُمِّ تَخْتَبِئُ فى قُلُوبِنا مِثْلَمَا تَخْتَبِئُ النَّواةُ فى قَلْبِ الأَرضِ ، وَتَنْشَقُّ من بَيْنِ شِفَاهِنا فى سَاعات الْحُزْنِ والفَرَحِ كما يَتَصاعَدُ العِطْرُ من قَلْبِ الوَرْدَةِ فى الفَضاءِ المُمْطِرِ الصَّافِى .

---

* لجبران خليل جبران (المتوفى سنة ١٩٣١) .

الفهرست

النثر

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر – شارع كورنيش النيل – القاهرة ج.ع.م